16 محرم الحرام 1431هـ - 02 يناير 2010م - العدد: 330-331

كلمة د. حسن أوريد (*)

مؤرخ المملكة ووالي جهة مكناس تافيلالت سابقا

بسم الله الرحمان الرحيم

كنت أود أن أكون حاضرا بين ظهرانيكم لألقي هذه الشهادة في حق علم من أعلام الفكر، وفقيه ضليع، وأستاذ نحرير وأديب لا يشق له غبار، فقيدنا فريد الأنصاري السجلماسي أسكنه الله فسيح الجنان. وشاءت ظروف ألا أحضر معكم جسدا، وأنا معكم قلبا ووجدانا. ولا يسعني إلا أن أثمن هذه المبادرة التي أقدمت عليها جامعة مولاي إسماعيل والمجلس العلمي بمكناس برا بواحد من أبنائها البررة.

كنت عرفت الفقيد وهو يكتب مقالاته ذاتَ الجرس الأدبي في جريدة "الصحوة"، ولم أكن أقدر أنه يفعل ذات الشيء متابعا لما أكتب، إلا حين اطلعت على كتاباته العلمية، ووجدت فيها شهادات لما كنت أرى آنذاك. كانت الشقة بيِّنَنَا بعيدةً فهو لم يحدْ عن الحياض الوجداني الذي كرع منه بأرجاء سجلماسة، وكنت أرى آنذاك أن هناك سبلا أخرى، أو سبيلا آخر، هذا الذي أشرقت أنواره الفكرية والعلمية مع الغرب.

وشاءت الأقدار أن نلتقي في نفس المكان، وقد انزاح ما كان يفرقنا وتبدد ما كان يحجبنا بحاضرة مكناس الفيحاء. ولن أنسى فضله علي، إذ هو من أرشدني إلى رسائل النور لبديع الزمان النورسي من خلال رائعته الأدبية : "آخر الفرسان". وقد فهمت بعدها أن صاحبنا يغور في الأعماق ويحدج في الآفاق. يغور في أعماق مواجيده التي نسلها من نبع تافيلالت القداح، ويحدج في آفاق ما تناهى إليه اجتهاد فرسان الإسلام. وكانت استنتاجاته عميقة المدى جرّت عليه أحيانا غضبات وشطحات.

كان رحمه الله ذا فكر مكثف لا يسفر عن غناه كله لأول قراءة أو عارضة. وكان يصدر عن وعي عميق لواقع الحال واطلاع واسع على جهابذة الإسلام، وعزيمة قوية وغيرة جياشة في أناة وقصد. وما أحوجنا أن نشتار شهدا من "الاجتهادات" و"المقاصد" و"الفطرية" وفي "مجالس القرآن" وفي كتاباته كلها.

فليرحمه الله وليُسكنه فسيح الجنان، مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

(*) أسرل هذه الكلمة في الحفل التأبيني الذي نظمته جامعة المولى إسماعيل والمجلس العلمي بمكناس

بعض الخواطر عن أخينا الراحل فريد الأنصاري رحمه الله

ذ. إحسان قاسم الصالحي
مدير مركز النور -اسطنبول

كنا أنا والأستاذ الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله رحمة واسعة مدعوين للمشاركة في ندوة دولية نظمتها ندوة العلماء في "ساراواك" بالاشتراك مع الجامعة الوطنية الماليزية UKM وكان موضوعها "دور العلماء في الوحدة الإسلامية" وذلك في 16-13 يوليوز سنة 2003م فانعقدت الندوة في فندق "هوليداي إن" في مدينة (كوجينك) وهي عاصمة أيالة ساراواك التي هي إحدى الأيالات الخمس لماليزيا. وقد بقينا معا طوال خمسة عشر يوماً ليل نهار، وما رأيت منه أنه ترك ليلة صلاة التهجد قط ولا الأذكار بعد الصلوات وبخاصة صلاة الفجر حيث كان له أذكار طويلة.

افتتحت الندوة من قبل مسؤولين كبار وجمع غفير من الأساتذة والعلماء الذين أتوا من مدن شتى من البلاد. وأخذت أخبار الندوة الصفحة الأولى في صحافتهم. قدّم كلٌّ منا بحثه وترجم إلى اللغة المالوية. وأعجب بهما الحاضرون، ولاسيما أننا أتينا من بلاد بعيدة عنهم. حتى إن ملك الأيالة أكرمنا بدعوة عشاء ملكي فاخر.

ثم عدنا معاً إلى كوالالمبور. وألقى الأستاذ فريد محاضرة قيّمة لطلاب الدكتوراه والماجستير في الجامعة الإسلامية العالمية حول تاريخ المقاصد بدءاً بالإمام الشافعي والغزالي والشاطبي وغيرهم ومن ثم بيان موقع النورسي فيه.

ومن ثم دعانا أساتذة كلية الدراسات الإسلامية للجامعة الوطنية إلى مخيم أعدّوه على قمم الجبال المحيطة بكوالالمبور. فاستجبنا للدعوة. كان المكان جميلا بكل معنى الكلمة وهادئا جداً ومعداً لهذا الغرض من أماكن مبيت وقاعات محاضرات ومسجد وغيرها من المباني التي تتطلبها مثل هذه الأماكن.

وفي الحقيقة نعجز عن أن نعبر عما في أعماقنا من رغبة ملحة في الاندماج بهذا المدى من الجمال والجلال، وكأنه سمفونية تغريد تحيط بنا من كل جانب، فما كان لنا إلا اللواذ إلى التسبيح بالقلب وباللسان أو بالنظر أو بالجوارح الأخرى، فالجمال الجليل يحرك مكامن القلب ويهيجها. وكان أخونا الفاضل رحمه الله يكرر عليّ الفرق بين التدبر والتفكر مستندا إلى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

بقينا معهم يومين كاملين وأرادوا منا أن نتفرغ من كل شيء إلا صلاة الجماعة وتلاوة القرآن وقراءة في كتاب "مرشد أهل القرآن إلى حقائق الإيمان" لبديع الزمان سعيد النورسي. فأصبحنا في تلك الأيام الجميلة بين أحضان تلك المناظر الساحرة وكأننا في خلوة تدبرية عميقة. وختام تلك الأيام اجتمعنا على صورة حلقة ووجهوا لنا أسئلتهم وذكروا لنا انطباعاتهم.

وسأوجز أجوبة الأستاذ فريد على الأسئلة التي وجّهت إليه:

● السؤال الأول : نحن أساتذة التفسير وعلوم القرآن في كلية الدراسات الإسلامية نرى أن رسائل النور للنورسي لا تشبه التفاسير التي ندرّسها علما أنه يقال عنها أنها تفسير حقيقي للقرآن الكريم. فأي نوع من التفسير؟

فأجابهم الأخ فريد وكان بين يديه قدح ماء فأخذه ورفعه وقال: لنفرض أن هذا القدح مملوء عسلا، فيأتي الكيميائي الحاذق ويحلل العسل ويكتب أنه يتركب من : سكر الفلاني بكذا نسبة، والسكر الآخر بكذا نسبة، والصوديوم كذا والمغنسيوم كذا.. وهكذا وهو صادق وخبير. والآن لنفرض أنه آية كريمة بدل العسل فيأتي المفسر ويقول مثلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا﴾ التي ترد في القرآن بكثرة، وذلك لنُكت دقيقة ولطائف رقيقة، إذ هذا الخطاب مؤكّد بوجوه ثلاثة: بما في "يا" من الإيقاظ، وما في "أيّ" من التوسم، وما في "ها" من التنبيه. وهكذا... وهذا كله صحيح ويقرّه المفسرون على اختلاف مشاربهم ومناهجهم. ولكن النورسي ياتي ويأخذ ملعقة من العسل ويؤكلك إياه فتتذوق حلاوة شهد الحقيقة القرآنية وطعمها. وهذه ما تفعله رسائل النور، ومن هنا أقول إن رسائل النور تفسير ذوقي. والقرآن كما يُدْرَس ويُتلى يُتذوق كذلك؛ ولذلك فقد جمعت كلمات بديع الزمان بين دقة العلم، ولطافة الذوق. وقد يتوهم قارئ رسائل النور لأول وهلة؛ أنها صفحات من الوعظ والتذكير فحسب؛ أو ورقات في أدب الدنيا والدين، على غرار ما كتب كثير من السابقين، لكن الباحث المتعمق، الصبور على المتابعة والاستقراء، يكتشف أن الأمر يتعلق (بفقه) خاص للكون والحياة والمصير! إلا أنه فقه أو (فلسفة) مستنبطة من القرآن الكريم، سواء فيما يتعلق بمصطلحاتها ومفاهيمها، أو ما يتعلق بقضاياها وإشكالاتها؛ ومن هنا عمق الجهاز المفهومي لدى بديع الزمان.

● سؤال آخر: نرى في رسائل النور الأحداث التي مرت بالنورسي أو مرّ بها، بل حتى الكلام عن أهل بيته أو طلابه مما لا نراه في تفاسير أخرى، وهذا يدفعنا إلى القول أنها قاصرة على فترة معينة، أي لابد لنا من رسائل أخرى لهذا العصر أيضاً.

فكان الجواب حاسما وطريفا في الوقت نفسه:

نعم، إن النورسي قد سجل سيرة حياته في الرسائل، ذكرها لتوظيفها في بيان أهمية الإيمان وبيان عظمة القرآن وأحقيته وكيف أنه أنقذه من ورطات وهموم، هذا أولا، فهي إذن ذكرُ توظيف وليس سرد تاريخ. هكذا ألّف النورسي رسائل النور، عبر حياة متنقلة من سجن إلى سجن ومن منفى إلى آخر؛ ما بين رجل العلم والسياسة، الذي هو: (سعيد القديم)، إلى رجل القرآن والتربية، الذي هو (سعيد الجديد)؛ كان النورسي ينسج غلائل النور عبر رسائله النورية.. كل ذلك أدى إلى أن تكون رسائل النور ذات تداخل موضوعي وحيوي في الحياة، نعم فيها تسجيل لمراحل من عمر النورسي الحافل المديد: (83 سنة)، التي وظفت لبيان حقائق القرآن. وفيها نصوص وقضايا لا يتم فهمها إلا بردّها إلى أحداث وقوعها، كما أن فيها جزئيات هي لا يمكن فهمها إلا بإدخالها ضمن كُلِّيِّهَا!

آخر صورة للد. فريد الأنصاري مع ذ. إحسان قاسم بالمستشفى باسطانبول بتاريخ 2009/09/17

وثانيا: إن القرآن الكريم كما هو معلوم لديكم قد أُنزل ليلة القدر كله إلى بيت العزة، ولكن تنزّل نزولا في مُهلة منجّما وفق الحوادث في ثلاثة وعشرين عاما. ولما كان القرآن يخاطب العصور كلها فحقائقه وأسراره تتوجه أيضاً إلى كل عصر وفق متطلبات ذلك العصر؛

تتمة : ص7